المحاظرة الرابعة: مدخل لدراسة الشريعة اليهودية

م د عواد قاسم رسن

التخصص الدقيق أديان

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية/ قسم علوم القرآن

مقدمة: كان للمسلمين قصبة السَبق في المقارنة بين الأديان، وذلك لعدة أسباب،منها:

أولا: ورود اشارات وتصريحات من القرآن الكريم، تشير الى الأديان السابقة، وكيفية إعتقادهم، وهي اشارات لضرورة دراسة التشريعات السابقة ومعرفة المشتركات والمختلفات

ثانيا:دعوة القران المجيد الى التفكر والتعرف على الاديان الأخرى ليتسنى معرفة الحق من الباطل، بصفة ان الاسلام خاتم الأديان يلزم منه معرفة سلبيات الأديان السابقة التي إنتقم الله تعالى منهم.

ثالثا: إثبات ان الشريعة الاسلامية هي الحق، كما في تصريح القران المجيد، وهذا يستدعي التعرف على الاديان السابقة وسلوكياتهم، لإثبات صحة المبادى القرآنية.

تمهيد: بالرغم من سعة الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى، وسعة أسفار(أسفار العهد القديم)،لدى اليهود، مضافا الى الريعة الشفوية لديهم المسماة(التلمود)، إلّا أنها خالية من العقائد الحقّة والقواعد الفقهيّة والمنطقية، وإنما هي مجرد روايات وقصص تحمل في طياتها التناقظات المنطقية والعقلية.

كما أنهُ مجرد سرد تاريخي خالي من الثمرة والعِبرة،فنجد فيها أنّ الله تعالى ضعيف ذليل عاجز، يندم على فعله، ونجد أن الأنبياء في أسفارهم في درجة عجيبة من الإنحطاط التربوي والأخلاقي كما سوف يأتي.

وقد عبدوا غير الله تعالى في فترات، وهذا يكشف عن تأثّر اليهود بالوثنيّة التي كانت سائدة في تلك الحقبة،**{وقال الملأ من قوم فرعون أتَذرُ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويّذَرَك وآلهتك}** الأعراف127.

ولا شكّ ان جميع التشريعات تؤمن بأنّها سماوية،وليست وضعية،ولكن بفعل التحريف الذي حصل في الشريعة اليهودية والمسيحية، ووجود ما يؤكّد ذلك في القرآن المجيد، يجعلنا نقف

أمام كتاب اليهود وتحليله بدقة وموضوعية، والتجرد عن الحاق التهم دون دليل عقلي أو منطقي، والغرض من ذلك الوقوف على حقيقة الأمر ومعرفة الصواب.

ومسالة الديانات مسالة حساسة لها آثارها العقدية والنفسية ، وليس من السهل التعامل مع معتنقي هذه الأديان التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، إلّا أن الأحكام العقلية والمنطقية، تُيسّر الأمر من خلال مُحاكات العقول والنفوس، وعدم التعبّد بالنصّ مع وجود التناقظات العقلية والمنطقية، ولعلّ أسفار العهد القديم لدى اليهود من أكثر الكتب التي تحتوي على مثل هذه التناقظات والمخالفات العقلية، وركاكة الأسلوب وسذاجته.

نعم وجود لبعض العلماء اليهود محاولات لتجريد الكتاب المقدس عندهم، من تلك التناقضات والإشكاليات، ومن أشهر علماء اليهود في العصر الأسلامي، الذي حاول تصحيح هذه العقائد الفاسدة، سعيد بن يوسف الفيومي، المعروف بـ(سعاديا)، الذي نزّه الله تعالى عن الصفات المادية، التي وردت في التوراة اليهودية، وحملها على المجازية، كما في كتاب(الأمانات والإعتقادات).

وكذلك موسى بن ميمون الأندلسي، الذي وضع الأصول الثلاثة عشر، وأسماها أركان الين اليهودي، في كتابه(دلالة الحائرين)، وبه قد إرتقى بمستوى علم التوحيد وعلم الكلام لدى المسلمين، وهؤلاء قد طوّروا الفكر اليهودي بعد أن عاشا منفتحين على الإسلام وأفكاره.

ومن أهم الكتب الإسلامية التي كتبت في هذا المجال،كتاب (الفرق) للنوبختي. وكتاب(الفصل في الحلل والنحل)لأبي عيسى الوراق. وكتاب (الحلل والنحل)للشهرستاني، وكذلك البيروني في كتابه عن الهند.

الكاتب اليهودي العراقي أحمد سوسة:

وهو مؤلف كتاب(العرب واليهود في التاريخ)، وهو من بقايا اليهود في الجزيرة العربية،بعد ان أعلن إسلامه، يقول: ان أكبر الكتل المتهودة في قبائل(الخزر)وهم من الاتراك المغول، يسكنون بلاد الخزر الواقعة جنوب روسيا، جوار نهر الفولتا، في بحر قزوين،في العصور الوسطى، ختى أواخر القرن العاشر الميلادي، وأقدم معلومات وصلتنا عن يهود الخزر،عن طريق الرحالة العربي(ابن فضلان)الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله(هـ309 - 921م)، الى ملك البلغار،وفي طريق العودة مرّ بمملكة الخزر،ويقول إنهموأن كانوا يهود إلّا ان الطابع الغالب عليهم الوثنية.

ثم قام اروس بحملات ضدهم وقضت عليهم،وإنتشروا في روسيا وألملنيا، وكان الروس موطن أكبر عدد من اليهود، يسميهم الدكتور محمد دروزة(الشكناز)،ويعتمدون على الاصول المنحدرة عن فلسطين وروما مرجعا لهم،ويتكلمون الاسبانية الممزوجة بالعبري، وتسمى(لادينو)، وهم أكثر اليهود تعصبا حتى بين ملتهم، وتعني كلمة الشكناز الفكر اليهودي.

وفي قبال ذلك يوجد يهود(السفرديم)الذي سكنوا حوض البحر المتوسط، وإعتمدوا على الاصول المتنحدرة عن بابل مرجعا لهم.

أمّا الحركة الصهيونية السياسية الحديثة،فيدعون إنتسابهم الى بني اسرائيل القدامى،وهي حركة تاريخية واحدة تدور في رحى فلسطين، وهي دعوة ليس لها مستند تاريخي أو علمي، بل الدليل على العكس من ذلك، أن وجودهم في فلسطين كان بالعارض وليس بالأصل، وأن فلسطين كانت غاصة في السكان في تلك الفترة.

كما ان اليهود لم وجود في فلسطين بعد تدمير الرومان لهم، فرابة قرنين بعد الميلاد، مضافا الى السبي البابلي وتدمير هيكلهم، فأكثرهم إعتنقوا المسيحية ثم الإسلام، وكان المؤلف احمد سوسه من تلك المجاميع اليهودي التي أسلمت.

وقد حاول كتبة التوراة الاشارة الى ان بني اسرائيل، عندما غادروا مصر رجعوا الى ارض الآباء والأجداد، بزعم ان ابراهيم عليه السلام حينما غادر العراق الى فلسطين كان معه آباء وأجداد اليهود الأوائل. ومن ثم غادر هولاء مع يعقوب عليه السلام الى مصر،وهذا يعني ان اليهود حينما تركو مصر رجعوا الى ارض الآباء والأجداد. ولذا يقول(فرويد)نقلا عن احمد سوسه، ان كتبة التوراة أدخلوا الآباء الأولين في ديانتهم واعتبروهم من اسلافهم، بغية إعطاء دليل على ان اليهود ليسوا غرباء على ارض كنعان[1].

كما يجب الاشارة الى ان بني اسرائيل كان لهم نفس وثني لم يستطيعوا التخلص منه،حتى مع وجود الأنبياء في أوساطهم، لجهاهم وطبيعتهم المنغلقة وقسوتهم لبني البشر. فنجدهم قد عبرو النهر مع موسى عليه السلام ومع ذلك شككوا به وخالفوه.وهذا يكشف ان هروبهم مع موسى لم يكن ايمانا به، وإنما لخوفهم من بطش فرعون وجبروته، وأنهم لا يستطيعون العيش الا مع ابناء جلدتهم، وقد شاهدوا كيف انفلق البحر لموسى وظهرت اليابسة وكيف رجع الماء على جنود فرعون، وكم هي معجزة عظيمة، ومع ذلك طلبوا من موسى وهارون بان يصنع لهم إلها، خصوصا حينما صعد موسى للجبل بأمر الله تعالى، لأخذ الألواح وتعاليم الشريعة، وتاخر عنهم اربعين ليلة، فأرادوا قتل هارون إن لم يقبل طلبهم، ثم صنع السامري العجل الذي له

[1] ـالعرب واليهود في التاريخ، احمد سوسه،ص476.

خوار وعبدوه، فسلط الله تعالى غضبه عليهم بالتيه أربعين عاما، في صحراء سيناء والنقب،وإستقر موسى في منطقة جبلية قريبة منهم تسمى(وادي موسى).

ومن هنا نقول ان كل ما يحصل من إرشاد سماوي وعصيان بشري وعقوبة دنيوية،ما هو الا ابتلاء وإمتحان، وهكذا الاحداث التاريخية فهي تمحيص وتصنف لدرجات الايمان والتعقّل لدى البشر. ومنها وعد الله تعالى لموسى ان يصوم ثلاثين ليلة، ليحصل على الألواح، لكن الله تعالى زاده عشرة ايام إختبارا وإمتحانا، فوجده عبدا طائعا فتم ميقات الله تعالى.

كل ذلك يجعلنا ان نتفحص عن الأمر السديد وفقا للعقل والمنطق السليم، ولا نطرح اي دعوة الا بدليل أو نص من اسفار اليهود المعتبرة لديهم، وهذا هو الأصل في البحث العلمي.

وسوف نتناول في الدرس الخامس كتب اليهود المعتمدة وتبيان مفرداتها ومصطلحاتها والتعريف بها.